

مناظرة بين الصمت والكلام وحكمة دعوة الإسلام للسلام

يشير صاحب هذه المقالة، السيد الداہ بن محمد عبد الرحمان بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ الشنقيطي، ويبين ويوضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وقواعد أهمها إتقان فهم علم الخلاف.

- مصدر الكتاب: www.tidjania.ma -

مناظرة بين الصمت والكلام وحكمة دعوة الإسلام للسلام

تأليف: الداہ بن محمد عبد الرحيم بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ الشنقيطي

تقديم

الحديث عن أمور من الشرع مختلفة يحتاج إلى بسط في القول ونثر يملئ من الأدلة ويوثق بالآيات والأحاديث وهذا ما لا تكفيه أكبر الدواوين والصحف، لكن غيرة العالم الموريتاني على هذا الدين وحرصه على أن يكون بالمرصاد للمستجدات من إضافات العصر الحديث كانت ذات تأثير مهم في جعله يهتدي إلى أنجع الطرق وأقصر السبل في إرشاد الناس وإنارة المنهاج السليم أمامهم بصورة غير مملة ولا صعبة الاستيعاب، وذلك عن طريق ظاهرة النظم التي تميز منهج علمائنا في الدعوة والإرشاد والتعليم.

ومن أهم ما يحتاجه المسلمون اليوم منهاج سليم ينتجه الدعوة إلى الله للمحافظة على وحدة المسلمين لتضييق هوة الخلاف، وأخذ العناصر التي تزيد الالتحام والتآخي. والإعراض عن أسباب التباعد والتباغض.

وفي هذا السياق يأتي هذا النظم الذي هو أحد آثار علم بارز وشاهد متميز على عصرنا وناقد موجة للسلوك الاجتماعي والسياسي والديني عبر التشخيص الدقيق والمعالجة بمختلف مستويات الخطاب (شعرا فصيحاً وشعبياً ونثراً وأنظماً).

وإذا كانت قامتي العلمية تقف بي دون الوفاء بتعريف الناظم، وتقديم النظم كما ينبغي فإنني لن استسلم للضعف بحجة الأمانة مع النفس بل سأحاول البعض مع الجهد عملاً بالقولة المأثورة: "العجز عن الكل لا يبزر ترك الجل"، وسأبرز في هذا التقديم بعض التدايعات التي تولدت لدي من قراءة النظم.

فقد استطاع الداه ولد الطلبة بقدرته التوجيهية الفائقة وخبرته في امتلاك ناصية الخطاب، وتمرسه في فن النصيحة وإخلاصه لمبدأ التغيير البناء والإصلاح في سلوك المجتمع الإسلامي أن يقدمه في مائة بيت محكمة النسيج قوية السبك بالغة التأثير أهم مفاتيح المنهاج الشرعي السليم، مثل الصمت الذي هو مفتاح النجاة: الصمت في ميزان الضر والنفع!

صمتك عن شر أعز مفخر ... لكن عن الذكر ضياع العمر

ومثل قيمة المسألة كرمز للتآلف والتآخي، والتماس أحسن المخارج للمسلم، فليس للمسلم أن يكفر أخاه بحيث «يبوء بها أحدهما» كما أن مبدأ حسن الظن بالمسلم مبدأ يحتاجه المسلم في تعامله مع أخيه لأن حسابه على من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلاقة المسلم بأخيه المسلم هي من أهم أمور الإسلام والمسلمين اليوم لأنه من المأثور أن "شرط النهايات صحيح البدايات".

فما هو المنكر ومن المسؤول عن تغييره؟ ومتى وكيف يغير المنكر؟ وبأية وسيلة؟ كلها نقاط أساسية يحتاجها الفرد في ذاته ومحيطه ليظل في حدوده الطبيعية حاكما بالظواهر تاركا أمر السرائر إلى الله المحيط بها، وقد أبرزها الناظم «وليس من الموعظة الحسنة» التضييق على المسلمين وسوء الظن بالله وعباده لأنهما خصلتان ليس فوقهما شر.

وهكذا يكون هذا النظم مولودا جديدا في شجرة آثار المؤلف وحجة ينبغي التمسك بها والعمل بهديها ليكون إسلامنا صحيحا.

فالله نرجوا أن يجزي صاحب النظم أوفى الجزاء على عمله الصالح في زمن الفساد وأن يمد في عمره معلما بارزا يهتدي به السائرون في هذا الدرب، وأن يعين المسلمين على التهدي به والعمل بمقتضاه ليتحقق الهدف السامي الذي ينشده الناظم.

محمد بن ولد محمد الحافظ ولد أحمد وقال

أستاذ سلك ثالث

مدير التعليم العالي بوزارة التهذيب الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وما توفيقى إلا بالله

لقد قلت هذا النظم اقتناعا مني بأن جميع الأمة الموريتانية، بل الشناقطة بالمعنى الصحيح كلهم مسلمون لله الحمد، وأحرص على بقائهم كذلك كما أحب لنفسي وأنصح من لا يرى هذا الرأي بأن لا يخاطر بإسلامه في الطعن في إسلام الآخرين بتأويلات بعيدة واحتمالات سخيفة، وتصورات خاطئة.

فليس فيهم على الإطلاق من شرح بالكفر صدره، بل كلهم قلبه مطمئن بالإيمان مهما كانت تصرفاته والتصورات عنه، ولنترك الأمر كله لله، ونرجوا الهداية لعباده، وبالله التوفيق.

مناظرة بين الصمت والكلام

وحكمة دعوة الإسلام للسلام

الحمد لله جزيل المنّ ... ثم الصلاة والسلام مني

على النبي وآله وصحبه ... والمقتدى به وأهل حبه

وبعد ذا رجون حسن عملي ... وطيب حلي ونيل أمني

ثم أقارن هنا بين الكلام ... ومقتضى الصمت لصالح الأنام
فضل الكلام فوقه حد الغاية ... والصمت حد نفعه الوقاية
في قول "لا تلهيهم" إرشاد ... يحق أن تفهمه العباد
للاقتدا بهم وما فهمت ... من قوله جل "وما خلقت"
في ضمنه فضول صمت المسلم ... إلا بأمر واضح مُسلم
كفرض صمت سامع التلاوة ... وحاضر لخطبة الجمعة
صمتك عن بشر أعز مفخر ... لكن عن الذكر ضياع العمر
فالذكر خير مغنم للمرء ... في كل باطن وكل مرئي
عمر به الساعات والدقائقا ... كي لا تكون بعد عبدا أبقا
ثب واستعد به استغث واستغفر ... واسأل تضرع شاكرا وكبير

وبصلاتك على المختار ... ترقى إلى مراتب الأخيار
بها تجازى بصلاة الأحد ... عليك عشرا فلتكثر واحمد
وبالتلاوة وذاك أفضل ... لمن لها في حكمها مؤهل
فصاحة تدبرا في كل حال ... مع اجتناب نهيه والامتنال
صن الحديث عن إعادة الخبر ... في الدهر من غير حديث أو أثر
أو مقتضى تعليم أو تعلم ... تعلم اعمل صالحا وعلم
ولا تعد من غير ذا حديثا ... كان قديم الشأن أو حديثا
عنك رجوع للورى من غير ... نفع وأحرى من حديث الغير

والقيل والقال أشد خطرا ... على الصحيفة وعرضة افترا
وغير ما يعينك لا تحدث ... به قديما أو طراً من محدث
فهكذا شأن رجال الدين ... وقادة التوحيد والتمكين
أهل مسالمة أهل سلم ... لم يخش في جنابهم من ظلم
فلا يمارون بدين أحدا ... ولا جدال فيه منهم أبدا
ما منهم من لأفظ بفيه ... شأن الخلاق وما هم فيه
فشغلهم بالله ليس بالسوى ... يراقبون الله شوقا وهوى
دعوتهم لدينه بالحكمة ... وبمواظب الهدى الحسنة
لا سب لا لوم ولا عتاب ... لا يفتحون للخلاف بابا
قال السيوطي أن من لم يتغب ... أو يلعن الشيطان غير مذنب
فلست مأمورا بالانتقام ... من كل عاص لا ولا محام
فالله قادر على التأديب ... لكل من أخطأ والتأيب
دُم مسلما مسالما ومحسنا ... ولا تبالي من أسا أو أحسنا
ولتحذر العُجب بما علمتا ... من العلوم وبما عملتا
فالعلم دون خشية مفضول ... والعمل العُجب به فضول
وخشيه العلم أهم سُلّم ... إلى مسالمة كل مسلم
وعمل المعجب طبعا كالعدم ... ومقتضاه حسرات وندم
شهر علومك بما يسرُّ ... عقباه واحذر كلما يضر
ورؤية الفضل على الغير خطر ... لما على الإيمان فيها من ضرر

ونفيك اختصاص غيرك خطيرٌ ... محض تحكم على الله القديرُ
فقد درى الحَضرُ بما لم يدره ... قبل الكليم مع علو قدره
ولا تحتقر من لست تدري ما له ... عند الإله واختبرت حاله
خشية أن يكون من عباد ... آذان حربا من لهم يعادي
فالله قد خبأ في بلاده ... أفراد الأولياء من عباده
ومع علمك بما أقدمتا ... عليه محظورا وما قدمتا
فهل علمت ما أعد الله ... لك به ترجوه أو تخشاه

فإن جهلت ما به تثاب ... يوم الجزاء أو به تصاب
فكيف تدري كلما للغير ... مدخرا من خير أو من غير
أو دمت في شك من اهتدائه ... أو غيره ما لك في عدائه
وهل إذا كنت على العباد ... مفضلا كنت لهم تعادي
مضلا أو عنبا أو ساخرا ... أو راميا بالسوء أو مفاخرا
إن قلت حقا في أخيك اغتبهته ... أو قلت بهتانا فقد بهته
والكل شر فاحذر الشرور ... واحذر كذاك العجب والغرورا
وطهر النفس من الأغيار ... والزم هُديت صحبة الأخيار
فالله جل قال "واصبر نفسك ... مع الذين" فاليكونوا أنسكا
لا تعد عيناك دليل الأنس ... بهم وهم صفوة كل جنس
وقول "لا يسخر" حكيم مُحكم ... والسلم خير والسكوت أسلم

فاسلم بدينك وسالم تسلم ... وأحسن الظن بكل مسلم
بالله والعباد حسن ظنكا ... أعلى خصال الدين فيما قد حكى
راويه في الحديث "خصلتان" 1 ... للخير والشر له اثنتان
وحيث سوء الظن بالله قرن ... بمثله للعبد بالإثم قمن
تكفير مسلم لمسلم غرر ... بمحض ظن أو بتأويل خطر
على صميم دين من يقوم ... به حر لنفسه يلوم
حتم كفر نفسه أو غيره ... بغامض مكنونه لم يدره
إن لم يك الأول ممن كفرا ... كفر شرعا من له قد كفرا
فكفر الأول بأضعف احتمال ... من سيء الظن وضيق المجال
وكفر الآخر وعيد صدرا ... من مرسل بالحق خير من نرى
وإن لقول مسلم ألف احتمال ... بالكفر عكس واحد فلا يقال
بكفره في مذهب الأحناف ... بلفظ الإجماع بلا خلاف
وربما برأ آلاف العدول ... من قد رمى بالكفر أصحاب الفضول
في النحل قد فرقه بين المسلم ... وغيره بالمحكم المسلم
من قلبه اطمأن بالإيمان ... قد فاز بالإيمان والأمان
ومن بكفر صدره قد شرحا ... بما اقتضاه كفره قد صرحا
خطأ ألف مرة عفوا صواب ... عن خطأ فرد يكون بالعتاب
فيما روى الجمهور من أتباع ... الإمام مالك بلا نزاع
وحجة المنكر بالتغيير ... لمنكر من سيء التقدير

من قبل أن يثبت شرعا أنه ... من المناكر وبئله ظنه
فالشرع قد حدد ما يستنكر ... من المناكر وما يغير
ما تم الإجماع على حرمة ... يعد منكرا على من يأتيه
وما له مخالف لو قلا ... شطر خلاف كان لا أقلا

1 - نص الحديث: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن
بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر
سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله."

وبعد ما حدد ما يغير ... من منكر عين من يغير
يغير المنكر من يطاع ... قولاً وفعلاً أمره مطاع
وآمن من شر من له نصح ... وآمل النفع له على الأصح
تغييره باليد شأن الوالد ... أو حاك يعنى بحكم البلد
وباللسان من شؤون علم ... موقر محترم مسالم
وغيرهم ينكر بالقلب فقط ... وربما إنكاره من الغلط
للبعد من إحاطة بالعلم ... وضعف تأويل وسوء الفهم
تضعيف ما تعلمه وتعلم ... أصح منه عمل مسلم
ونفتكم لكل ما جهلتم ... يُرد بالنص "وما أوتيتم"

فاخضع لحالك وحاول علم ما ... لم تدره مما داره العلما
وإن عجزت فأتد وسلم ... لقول من علم ما لم تعلم
واحرص على أخوة الإسلام ... كلا لصون السلم والسلام
فالمسلمون هم عباد الحق ... والحق واحد لدى ذي الصدق
ما منهم ذو قوة أو حول ... فكل ذا لربنا ذي الطول
فالنتوكل كلنا عليه ... مسلمين أمرنا إليه
ولنختم التوجيه بالصلاة ... على النبي الطيب الصلات
والأنبياء وصحبه والآل ... أهل التقى والفضل والكمال
أرجو بها شفاعاة ولنقتدي ... بنهجه وبهداه نهتدي
نفسى نصحت لا السوى لردها ... عن غيرها وندبها لرشدها

لقد أكملت هذا النظم من جديد بعد أن تلقيت احتجاجات تدل على عدم
الاقتناع بأوله فاستطردت تلك الاحتجاجات للرد عليها. والله ولي
التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

أختم هذا النظم بسرد نادرة في التاريخ الإسلامي في الموضوع:

ورد على علي زين العابدين أبي الحسن بن علي رضي الله عنهم ركب
من اليمن فأخذوا يتقربون إليه بسب بني أمية فبدؤوا بمعاوية رضي

الله عنه وأنصاره إلى أن بلغوا أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فقال لهم علي زين العابدين: أخبروني من أنتم؟ فقالوا نحن من اليمن فقال لم أسألكم عن نسبكم ولا جهتكم، بل أسألكم من أي طوائف المسلمين الثلاث المفضلة في كتاب الله العزيز أنتم؟ هل أنتم من "الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون"؟ فقالوا: لا، أو أنتم من "الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" فقالوا: لا، فقال: بما أنكم شهدتم على أنفسكم أنكم لستم من إحدى الطائفتين السابقتين فأنا أشهد أنكم لستم من الطائفة الثالثة التي قال الله في حقها: {والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} (سورة الحشر: 10) صدق الله العظيم.

ثم قال: اخرجوا عني فعل الله بكم كذا وكذا ونحن اليوم بما أننا لم نحظ بأن نكون من الطائفتين الأوليين فننقلد الطائفة الثالثة بأن نسأل الله المغفرة لذنوبنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وأن لا يجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا.

وبعد فقد أوردت في هذا النظم بعض التوجيهات والإرشادات دينية وأخلاقية واجتماعية مدعومة بآيات كريمة صريحة وأحاديث شريفة صحيحة لمن أراد أن يسترشد بها ليحلب لنفس الخير والصلاح بامتثالها.

كما استطردت فيه نصائح وتحذيرات تخدم نفس الأهداف الثلاثة مدعومة هي الأخرى بالأدلة السابقة لمن أراد أن يدفع عن نفسه الشر والفساد باجتناها.

والخير أردت لنفسي وللجميع.

والله مطلع على نيتي في سري وعلانيتي.

وعلی اللہ قصد السبیل.

الداه بن محمد عبد الرحیم بن الشیخ أحمد

بن الشیخ محمد الحافظ الشنقیطی
